الطرح السينمائي لصورة الإسلام والمسلمين في الأفلام الهندية.. تصحيح أم تقليد.

دراسة تحليلية لفيلم Kurbaan وفيلم My Name is Khan

أ. سوقال إيمان

أ. بخوش فاطمة

كلية الإعلام والاتصال والسمعي البصري – جامعة قسنطينة3.

الملخص:

إن تشكيل الصور النمطية للإسلام والمسلمين والسعي لترسيخها في الوعي الجمعي الغربي أو حتى العربي الإسلامي، ساهم بشكل كبير في التأثير على معارف الأفراد والجماعات واتجاهاتهم وسلوكياتهم، من خلال صور متحركة وبرامج تلفزيونية وأخبار صحفية وأفلام سينمائية...تحمل مضامين وانطباعات تغذي صور نمطية متعددة.وتشكل السينما الهندية أحد النماذج المرجعية التي قدمت طرحا مختلف التيمة الاسلام والمسلمين ، حيث حاولنا تشخيص الطرح السينمائي الهندي لهاته الصورة باتباع المنهج الوصفي التحليلي واستخدام أداة تحليل المحتوى الكيفي وقد توصلنا إلى أن السينما الهندية قدمت صور متعددة للإسلام والمسلمين تراوحت بين الطرح الإيجابي والسلبي.

الكلمات المفتاحية: الصورة النمطية، صورة الإسلام والمسلمين، السينما الهندية.

Résumé:

La construction des stéréotypes de l'islam et les musulmans, larecherche de la renforcer en conscience collective occidentale ou même arabe et islamique, contribué de manière significative à l'influence les cognitions des individus et des groupes,leurs attitudes et comportements, par le biais des images animés, programmes télévisuelles, informations journalistiques, films cinématographiques … représentent des contenus et impressions nourrissant multi-stéréotypée. Le cinéma indien a présenté l'un des modèlesréférentielles qui présente un traitement différent autour le thème d'islam et des musulmans. en essayant à travers cet article de diagnostiquer le traitement médiatiquede cinéma indien de cet image, en suivant l'analyse descriptive analytique et l'outil d'analyse de contenu qualitative, nous avons constaté que le cinéma indien a fourni divers images de l'islam et les musulmans, Entre traitement médiatique positives et négatives

Mots-clés: stéréotype, image de l'islam et des musulmans, cinéma indien.

I. إشكالية الدراسة:

"ليست المسألة أن يحكي شخص آخر حكايتنا، المسألة أيضا في الطريقة التي تحكي فيها الحكايات".

إن السينما كأحد الفنون التي لا تعكس الواقع بقدر ما تسعى لإعادة صياغته وتشكيله باعتبارها صناعة تبيعنا الأحلام قبل الأفلام وتصنع لنا واقعا رمزيا موازيا قد يتشابه أو يختلف مع واقعنا المعاش وتؤثر على تصورنا عن ذواتنا وعن الآخرين وفي طريقة الحياة والفكر، وتدخل كما يقول أحد الباحثين في دورة إنتاج المعنى الوجودي والثقافي لتوسطها للعلاقة بين الدال ومدلولاته،.والادعاء بأن السينما أداة تسلية وترفيه لا ينفي كونها أداة لتشكيل الوعي والتلاعب به، فالقول أن الترفيه لا ينطوي على أية سمة تعليمية هو خدعة كبيرة وهو ما أكده الباحث **إيريك برنو** مؤرخ التلفزيون الأمريكي "**إن الترفيه بما هو مفهوم لا يتصل من بعيد أو قريب القضايا الجادة للعالم مفهوم خاطئ لأن الترفيه ينطوي على إيديولوجية مضمرة في كل أنواع القصص الخيالية فعنصر الخيال يفوق في الأهمية العنصر الواقعي في تشكيل أراء الناس**"(هربرت أ. شيللر، **1999**: ص **90**)، وهو ما أهلها سابقا لتكون محركا للعبة السياسية ويؤهلها اليوم لتكون الطرف الخفي الأقوى في صراع الحضارات حيث نجحت هوليود إلى حد كبير في نشر مغالطات عن غيرها من الشعوب وفرض بيداغوجيا العداء للآخر على شعوبها، ليكون للإسلام والمسلمين الحظ الوافر من هذه الصور النمطية التي غذت العديد من الاتجاهات الإعلامية العالمية ممارسة بذلك السلطة الناعمة لإذعان رأي عام عالمي لا يعرف الكثير عن حضارة الأخر ولا يجتهد في اكتشاف الخصوصيات الثقافية، ورأي عام عربي يعرف الكثير عن ثقافته وصورته ولكنه لا ينجح في تسويق صورة تعكس هويته وتجعله في لب سؤال الحضارة، من هذا المنطلق نقف أمام سينما بوليوود التي أصبحت منافسا شرسا لسينما هوليود ونحاول رصد نماذج عن صورة الإسلام والمسلمين في أفلامها خاصة وإن الإسلام ثاني ديانة يعتنقها الهنود ومدى تقاطعها مع الصورة النمطية التي رسمتها السينما الهوليوودية عن الإسلام خاصة بعد **أحداث 11 سبتمبر** لنكشف عن حدود الفصل والوصل في الرؤى السينمائية للطرفين. الذي اعتبر حدثا تاريخيا هاما شكل صورة الإسلام والإسلاميين إعلاميا وفي ظل ذلك وجدت السينما من تلك التغيرات مجالا لاقتباس سيناريوهاتها وعليه جاءت دراستنا للبحث في صورة الإسلام المقدمة في السينما الهندية وجاء سؤلنا الرئيس كالآتي: **ما هي الصورة التي أبرزها الطرح السينمائي الهندي عن الإسلام والمسلمين؟**

ويتفرع عنه التساؤلات التالية:

- **ما هي النماذج التي قدمها عن صورة الإسلام والمسلمين من خلال البنية السردية للفيلم؟**

- **ما هي النماذج المقدمة عن صورة الإسلام من خلال سمات الشخصيات في كل من فيلم اسمي خان وقربان ؟**
- **ما هي خلفيات الصور المقدمة عن الإسلام في كل من فيلم اسمي خان وقربان ؟**

II. الصورة النمطية في السينما الهندية:

بوليوود سينما جماهيرية من الدرجة الأولى يشاهدها حوالي 5 مليون مشاهد يوميا تمتلك تأثيرا كبيرا على قناعات المشاهدين. تعتمد أفلامها كثيرا على دغدغة مشاعر المشاهدين ومخاطبة العاطفة ولعب على أوتار حساسة لدى المتلقي مثل محاربة الظلم والدفاع عن المظلوم والمناداة بالحرية وقداسة الأم والأسرة والأرض، ترتكز كذلك على الغناء والاستعراض. على الرغم من ادعاء أهل الفن السينمائي الهندي بالعلمانية وعدم الانتماء العرقي والديني ولكن يبدو بأن الذاتية والأيديولوجية والتعصب للدين لا يمكن لبوليوود أن تتخلى عنها بصفة نهائية(جمال الدين بوزيان، **2008**).

وكان لتاريخ الهند وباكستان تأثير كبير فالعلاقات بين الدولتين متوترة منذ حرب **1947** عند انفصال باكستان عن الهند سجلهما حافل بالمواجهة السياسية والعسكرية الدائرة في الحدود الغربية للهند مع باكستان في **إقليم كشمير** تحديدا المنطق المتنازع عليها.فخلال سنة **1947** ظهرت هجرة واسعة لمسلمي الهند نحو باكستان وبالمقابل هاجر الهندوس من باكستان إلى الهند وكانت كشمير ذات غالبية مسلمة **82%** من السكان مسلمون وحسب قانون استقلال الهنود آنذاك والذي وضعته بريطانيا كان من المفترض أن تنظم كشمير إلى باكستان بما أنها ذات غالبية مسلمة لكن الهند ضربت بهذا القانون عرض الحائط وأرادت ضم كشمير إليها فتمرد مسلمو المنطقة المتنازع عليها وارتكبت في حقهم مذابح راح ضحيتها قرابة **100**ألف مسلم على عكس ما تروج له السينما الهندية.عرفت الدولتان فيما بعد حربين عام **1965**و**1971** ولكن منذ اتفاقية **1972** التي نص على أن كشمير منطقة متنازع عليها دخلت الهند وباكستان في هدنة متذبذبة إلى غاية تزوير انتخابات **1987** التي كانت سببا رئيسيا لظهور جماعات إسلامية انفصالية مسلحة تدعو لاستقلال كشمير ومثل كل التنظيمات الإسلامية المسلحة فإن تلك الجماعات الإسلامية الكشميرية زادت من الكراهية اتجاه الإسلام والمسلمين بالمنطقة وأبعدت الرؤية الواضحة لقضية إقليم كشمير(جمال الدين بوزيان، **2008**). وشكلت هذه العلاقة المتوترة سيناريوهات السينما البوليوودية وتم صنع أحداث متذبذبة حول القضية وخاصة بإتصالها بأحداث **11** سبتمبر **2001** فكانت لصورة الإسلام والمسلمين في السينماالهندية رؤى وسنتتبعهذه الرؤى من خلال تحليلنا لفيلمين هنديين برزا على الساحة المحلية والعالمية وقدما نماذج لصورة الإسلام والمسلمين.

فالأفلام التي تعالج الإرهاب على الشاشات التلفزيونية كانت المسيطرة في هاته السنوات ومن المثير أن كثير من هذه الأفلام مثل **موم‌باي ميري جان، عامر، يوم الأربعاء، نيويورك** حظيت بإقبال هائل من جانب المشاهدين، كما تناولها النقاد باستفاضةثم إنها مست كذلك وترا لدى الجمهور بتقريب القضية من الرجل العادي عن طريق إظهار الخوف من الدخول إلى القطارات المحلية والأفكار النمطية داخل المجتمعات الدينية والإحباط بسبب العجز عن الرد على ذلك وحسب مجلات الأفلام فإن هذه الأفلام تعرض داخل العالم العربي.وخصصا لفيلمي **قربانKurbaan واسمي خان Myname is Khan**ميزانية ضخمة يعالجان موضوعان مرتبطان بالإرهاب. ومع ظهور نجوم بارزين في بوليوود في الأفلام التي تعالج الإرهاب يتبين أن فكرة الإرهاب باتت مسيطرة على الأفلام إلى حد كبير وتجري معالجتها بصورة مختلفة في كل مرة. كان المسلمون في الماضي يظهرون في الأفلام الهندية كأصدقاء أوفياء أو مهربين مترفين أو شعراء وكتاب ولكن بعد تفاقم التمرد في كشمير الهندية ومع تغير الأوقات تتطور الصورة التي يعرض فيها المسلمون أيضا فرحبت بوليوود منذ الثمانينات بكمية كبيرة من المواقف غير المدروسة عن المسلمين والإسلام، فالإسلام يعني الجهاد والجهاد يعني الإرهاب. وكان **فيلم روجاRojا** هو الفيلم المناسب لأجواء عقد الثمانينات والذي استوحى الصراع الأيديولوجي بين الضحية الوطني والجهادي الإرهابي. وقد فتح الباب على مصراعيه أمام عدد من أفلام بوليوود التي كانت لها نبرة أكثر حدة في النغمة واستمرت كذلك لفترة أطول وكانت أفلام **سارفاروشوماتوجي سلام، بوكر، فيزاVisa، مهمة كشمير وبوردر** وغيرها من الأعمال الناجحة التي ركزت على العلاقة بين كشمير، باكستان والمسلمين وكان المجرمون يظهرون وهم يرددون شعارات طنانة ضد الهند ويحاربون من أجل قضية كشمير وكان جميع هؤلاء من الشباب الملتحي وعليهم وشم على شكل بندقية ويرتدون ملابس إسلامية تقليدية وقد وضعت الكوفية على أكتافهم وكان هؤلاء يصورون وعيونهم حمراء لها لون الدم ويسيطر عليهم غضب مجنون بل كان المجرم أو الشخص السيئ في الفيلم يرتدي عباءة رجل دين إسلامي وعلى رأسه قلنسوة وفي يديه مسبحة ويقوم في بادئ الأمر بالتلفظ ببعض الكلمات العربية وبعد ذلك يبرهن على رغبته في تدمير الهند ولكن بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر أخذت أفلام بوليوود تصور مسلمي الهند المتناقضين وأفلام بوليوود المعاصرة حول الإرهاب تخلو من الأفكار النمطية الخاصة بالمسلمين ومع تعرض مدن مثل لندن ومدريد ومومباي لهجمات إرهابية عكف مخرجو بوليوود على دراسة المشاعر البشرية التي تقف وراء هذا التهديد العالمي(جريد الشرق الأوسط، **15** ديسمبر **2009**).

III. صورة الإسلام والمسلمين في فيلمي قربان واسمي خان:

- **فيلم قربان kurbaan**:

1. البنية السردية للفيلم:

بدأ الفيلم بلقاء للبطلة **كارينا كابور** بدور أفانتيكا **وسيف علي خان** بدور إحسان خان حيث عاشا قصة حب،كللت بزواج اثرى تلقي أفانتكا استدعاء من جامعة نيويورك لأجل السفر والتدريس وهناك تأخذ القصة منعطفا آخر فكانت البداية التي بدأ يطرح فيهااختلاف الديانات، فطرح نقاش بين البطلين وأبو أفانتيكا حول رغبته في تزويج ابنته من هندوسي وليس ذلك بسبب اعتراضه على المسلمين ولكن اعتقاده بأن التفاهم أساسه تقليل الفرق بين الناس. ومع ذلك كان لأسلوب إحسان الاقناعي دور في قبول الأبوزواج البطلان وسافرهما إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وبدأت رحلتهما في نيويورك في البداية من خلال البحث عن منزل يجمعهما فتختار أفانتكا العيش في حي يجمع أبناء شعبها، فينتقلا إلى البيت وكأن كل ذلك بمحض الصدفة ويلتقيا بجيرانهم المسلمين **حميد وأنجوم**و **سلمى،آبة زوجة الأمير بايجان.**

وتتقدم الأحداث من خلال استعانة سلمى بأفانتكا للاتصال بريحانةمع تأكيد على أن هناك أمور خفية عنها وأنها معرضة للخطر، في الوقت الذي يتوجه فيه إحسان إلى الجامعة لإجراء مقابلة عملويكون حول دورة دراسية عن الإسلام وتأثيرالإسلام على الغرب فترحيب العميد بذلك بغية دفع الناس على تغيير صورتهم عن الإسلام. وفي المقابل يدخل الشك قلب أفانتكا وتتابع قضية سلمى من بعدما لاحظت ضربها في الليل من قبل زوجها واختفائها لأيام. فتلجأإلى ريحانة وأيضا رياض مسعود وهما نموذجان مختلفان من الهنود يشتغلان مراسلان بوكالة إعلامية فتسرد لها وضعية سلمى ويتحدثان ويكون هناك تبادل لأرقام الهواتف والعنوان وذلك الوقت تتلقى ريحانة اتصال لسفرها لتغطية أحداث في العراق. وترتبط بعد ذلك الأحداث بتواصل شكوك أفانتكالتكتشف مخبأ مليء بالأسلحة والأشخاص الذين تعرفت عليهم في زيارتها لبيت حميد وأيضا تتفاجئي بجثة سلمى فينتبهون لها ويطاردونها، وهنا يتدخل إحسان وتكتشف بدورها أنه عنصر من المجموعة الإرهابية وأن الأمر منذ أول لقاء مدبر وكل شيء كان لأجل ضمان السفر الشرعي لإحسان وتقرر الجماعة قتلها ويرفض إحسان بسبب حملها.ويحدث نقاش حاد وجدال وتقدم فيه مصطلحات متطرفة مثل تزوجه من كافرة.وفي نفس الوقت يتم التركيز على سفر ريحانةالتي تتعرض طائرتها لتفجير المجموعة الإرهابية ويدخل هنا اهتمام الأمن القومي بخطر الإرهاب. وتفشل أفانتكا بالاتصال بريحانة فتترك لها رسالة يكتشفها رياض ويقرر اكتشاف المتسببين في قتل حبيبته واسقاط الطائرة فينتهج طريق مغاير للإرهاب، ويحاول التقرب منهم من أجل

كشفهم بعدما يقتل إحسان الشخص الذي ساعدهم في تفجير الطائرة ثم محاولة التخلص من جثة سلمى فتحدث اشتباكات بين عناصر الأمن ويكون فيها النجاح لجماعة المتطرفين.

وبعد صدمةأفانتكا في معرفة الحقيقة وتهديدات التي تعرضت عليها تتغير شخصيتها بوضعها للحجاب وانكسار الشخصية القوية والعفوية والمتفائلة ومحاولتها الإفلات من المنظمة الإرهابية، وعند انضمامرياض لهم تحاول تقديم مساعدة بإعطائه معلومات عن المحطات التي يريدون تفجيرها. وتتقدم الأحداث إلى النهاية منخلال اكتشافهم هوية رياض والاصطدام فيما بينهم وتدخل الأمن الأمريكي، ومحاولة انقاذ أفانتكا فيقتل جل أعضاء المجموعة الإرهابية ويصاب إحسان بطلقات رصاصية ويحدث لقاء أخير بين أفانتكا وإحسان وتتعرف على هويته الحقيقية وهو **خالد** الذي يشكل تهديد كبير للأمن القومي للولايات المتحدة.

ويقول **دي سلفا مخرج فيلمقربان** لا يمكن أن تكون موضوعيا أو محايدا مع قضايا مثل الإرهاب ربما لا يحب الكثير من البيض فيلمي لأنهم سيسمعون الشاب المسلم يتحدث ضد الإسلام الراديكالي (جريد الشرق الأوسط، **15** ديسمبر **2009**).

2. سمات الشخصيات في الفيلم:

–**الشخصيات المسلمة** حيثتم توظيف الشخصيات المسلمة كشخصيات محورية تدور حولها أحداث الفيلم من خلال تقديم المخرج لنموذجين والاستعانة بشخصيات غير مسلمة في تدعيم قصة الفيلم كشخصيات محورية فاخترنا عنصر الشخصيات كوحدة للتحليل لما لها من تأثير على تشكل بنية الفيلم وسرد أحدثه وتقديم صورة الإسلام والمسلمين:

–**إحسان خان:**ما يميز شخصية إحسان خان هو جاذبيته فيما يتعلق بشكله أولا وأسلوبه الاقناعي الذي يجعله قادرا على التأثير على الآخرين. من خلال التودد لأفانتيكا وانجذابها له، ثم إقناع أبوها بالزواج بها من خلال الاستمالات، ثم عميد الكلية بنيويورك. فقد قدم في نموذج الأستاذ الجامعي المتعلم المسلم وأيضا الباكستاني الذي تعرض للعنف من خلال قتل لزوجته وابنه ذو أربع سنوات وانتحاله لشخصية إحسان خان فهو **خالد** غير هويته بسبب ما يعرف عن شخصيته الأولى من تطرف وعنف وإرهاب من قبل الأمن الأمريكي والذي كان عنفه ردة فعل. فقد شكل نموذجين النموذج الأول الأستاذ المسلم المتحضر المدافع عن صورة المسلمين لدى الغرب من خلال فتح دورة تدريبية ونقاشات حول تأثيرات الإسلام على الغرب والنموذج الثاني الإرهابي المتطرف الذي ينتمي إلى مجموعة إرهابية باسم الإسلام وغضب الظلم الذي مورس عليهم يقتلون الأبرياء ويقومون بتفجيرات إرهابية عليهم.

–بايجان: أمير الجماعة الإرهابية على إثر الأحداث التي تعرض إليها في باكستان اتخذ باسم الجهاد والدفاع عن الأبرياء سلوكيات متطرفة تشمل تكوين مجموعة إرهابية في الولايات المتحدةوالقيام بعمليات تفجير على مستوى المطار ومحطات القطارات للانتقام. فيقتل على يد رياض مسعود ما يميز هذه الشخصية القوة والقيادة والتخطيط وأيضا الحذر وعدم الثقة.

–أبة Aapa زوجة بايجان تتمتع بسلطة زوجها وسيطرتها على العنصر النسوي وتنفيذ خطط زوجها فهي المرأة المساندة لزوجها حتى في أغلاطه وأظهرت مكانة المرأة المسلمة المتطرفة أو الخاضعة لحكم الزوج المتطرف.

–سلمى: زوجة مسلمة لأحد أفراد الجماعة الإرهابية بمعرفتها لحقيقة زوجها تعلن عصيانها لكنها لا تنجح من الفرار من الجماعة برغم محاولاتها فهي لم تخضع للجماعة الإرهابية عند علمها بأعمالها ولكنها تفقد حياتها وتشكل خطر على الجماعة حتى بعد موتها.

فقد قدمت المرأة المسلمة في نموذج الخضوع وانسانة مسلوبة الإرادة .

–شخصية رياض مسعود: شخصية مسلمة مثقفة يعمل مراسل تلفزيوني تبدأ الأحداث حوله من خلال عودته من العراق لتغطية الأحداث الموجودة فيه والتقائه بزميلته وحبيبته ريحانة ثم بموتها على إثر انفجار الطائرة يصبح هدفه في الحياة الكشف عن الحقيقة وباتصاله بالجماعة الإرهابية تبرز شخصيته من خلال دورة الدراسية التي يحضرها لإحسان خان وأراءه المنطقية عن الإسلام وأن الارهاب لا يتعلق فقط بالمسلمين وأن قتل الأبرياء لا يرتبط فقط بتفجيرات11سبتمبر بل أيضا قتلى العراق، أفغانستان، باكستان، الضفة الغربية وغيرها وكل ذلك مصدره الرجل الأبيض. فقد قدم نموذج الرجل المسلم المسالم الذي يحلل الأحداث بالاستناد إلى المنطق والعقل. وتعامله مع الجماعة الإرهابية دليل على صورة التي قدمت بها هاته الشخصية.

- **المظهر العام:**

لم يسعى المخرج لتقديم الهوية الإسلامية من حيث المظهر على خلاف الأفلام السابقة من خلال اللحية والقميص وقلنسوة وممارسة الشعائر الإسلامية،وإنما قدم نموذجين عن الشخصيات المتطرفة تحت راية الإسلام والتي استعملت شعار الجهاد للانتقام وتنفيذ مخططاتها المتطرفة على الأبرياء من خلال ذكر القرآن والإسلام وصلاة للمباركة قبل الأعمال التفجيرية الأخيرة كمظهر يدل على الإسلاموبالنسبة للشخصيات النسوية فقط الحجاب هو الشيء المميز.كما قدم نموذج ثاني متحضر والذي مثله رياض مسعود عن الإسلام في شكل دين سلام وتعايش.

- **الشخصيات غير مسلمة:**

سنركز في تقديمنا على**أفانتكا** فهي المرأة الجميلة ذات مستوى ثقافي قدمت كإنسانة متفهمة حنونة متعاونة متفتحة حكيمة وذات رؤية والقوية وغير الخاضعة لأحكام الفساد والتطرف.

3. نماذج عن صورة الإسلام في الفيلم:

- **الإسلام دين يمثل فارق للتفاهم بين الناس:** من خلال رفض أبو أفانتكا تزويج ابنته من مسلم باعتقاده أنه سيشكل عائق أمام علاقتهما فيما يتعلق بوجود فارق في الديانة فطرح فكرة التعايش بين الديانات. وكذا اعتراض زواج إحسان من أفانتكا فهي الهندوسية وهو المسلم.
- **الإسلام دين تطرف وإرهاب:** من خلال الجماعة الإرهابية التي اتخذت من مفهوم الجهاد شعار لها للقيام بعمليات إرهابية وقدمت الإسلام في صورة مشوهة من خلال قتل الأبرياء.
- **الإسلام دين سلام ورحمة وشفقة:**من خلال ما طرح في دورة الدراسية عن الإسلام وتأثير الإسلام على الغرب حيث أن كلمة الجهاد ذكرت **41**مرة وكلمة رحمة وسلام وشفقة ذكرت **355** وأن الإرهاب ليس سببه الإسلام فهو موجود في كل مكان ويعبر عن فئة متطرفة من الناس اتخذت من الإسلام ومن ديانات أخرى ذريعة لتنفيذ مخططاتها. كذلك فإن صورة المسلم **رياض مسعود** قدمت لنا نموذج الرجل المسلم المسالم العاقل في تقييمه للأمور وحلها.
- **الإسلام أيضا ضحية للتطرف:** خلاف للكثير من الاتجاهات التي حاولت تقديم الإنسان الأمريكي كضحية لتفجيرات وضحية للتطرف والتعصب اجتهد المخرج أيضا لتقديم الإسلام كضحية أخرى والتعصب والانغلاق الأمريكي حيث دفع المسلمون مثلهم مثل الأمريكيين ضريبة الهجمات الإرهابية.

➢ **فيلم MyName is Khan:**

1. البنية السردية للفيلم:

تبدأ القصة من هاجس أساسي اشتغل عليه المخرج طيلة الفيلم وهي معاناة المسلمين بعد أحداث **11** سبتمبر، مستهلا حكايته ببداية صادمة نقلها لنا مشهد إلقاء القبض على شاب هندي مسلم يدعى **رضوان خان** في مطار فرانسسكو متجها إلى العاصمة واشنطن، وبعد إخضاعه لتفتيش مدقق يتضح أن المشتبه به لا يشكل خطر على الولايات المتحدة الأمريكية حسب ما أدلى به الضابط الذي سأل رضوان عن سبب سفره إلى واشنطن، فيجيبه رضوان بالعبارة التي تدور حولها أحداث كل قصة والتي تختصر رسالة المخرج ورؤيته الإنسانية والسينمائية **"أنا اسمي خان وأنا لست إرهابيا"**، يغوص بنا المخرج أكثر في ثنايا القصة عبر مشاهد متتالية تصور لنا حياة رضوان الطفل الصغير المصاب بمرض (متلازمة اسبرجر) والذي يفقده مهارات التواصل

الاجتماعي السليم مع رغبات وأنماط سلوكية متكررة، يعيش مع أمه وأخوه الأصغر، وتكافح هذه المرأة من أجل تعليم ابنها وتطوير قدراته بالرغم من عدم فهمها لمرضه، محاولة غرس قيم التسامح والتعايش وقبول الاختلاف العرقي والديني، يكبر الطفلان ويسافر **زاكر** الأخ الأصغر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ويتزوج بمسلمة أمريكية ثم تتوفي الأم ويلحق رضوان بأخيه بمدينة نيويورك أين يقابل فتاة هندوسية مطلقة تدعى **ماندیرا** ويعيش معها قصة حب ويقرر الزواج منها بالرغم من اختلاف الديانة ويعيشان معا برفقة طفلها سمير من زوجها الأول والذي أصبح يحمل اسم خان، لتكون أحداث **11** سبتمبر لحظة مفصلية في حياة خان ونقطة تحول في علاقة المسلمين بالشعب الأمريكي حيث نعيش مع المخرج ومضات من المعاناة التي تكابدها شخصيات مسلمة اضطر بعضها لإخفاء هويته الدينية وقرر بعضها الأخر مواجهة التطرف بالتطرف. بينما سلك خان طريقا مخالفا وقرر مواجهة الموقف بشجاعة وإيمان وصدق، ومع تصاعد الأحداث أكثر وتعرض سمير ابن ماندیرا للضرب حتى الموت مما جعل الزوجة تطرد خان من المنزل محملة إياه مسؤولية ما أصابها وتصرح له في لحظة غضب" لو أن ابني لم يحمل اسمك لما قتل" وتطرده من المنزل فيسألها خان ببراءة: متى يمكنه أن يعود؟ فتجيبه باستهزاء "عندما تخبر العالم كله بما فيهم رئيس أمريكا أن اسمك هو خان، وأنت لست إرهابيا"، ولأن خان لا يفرق بين ما يقوله الشخص وما يعنيه فإنه يأخذ كلامها على محمل الجد وتبدأ رحلته بالبحث عن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، تتاح فرصة لرضوان للوقوف بين الجمهور الأمريكي الذي ينتظر الرئيس بوش كي يقول له ما طلبته من زوجته مرددا عبارة " **أنا اسمي خان وأنا لست إرهابيا**" ولا تلتقط آذان حراس بوش سوى عبارة إرهابي فيهجمون عليه ويسوقونه إلى السجن ويعذبونه بقسوة ورغم علم الإعلام الأمريكي بالحقيقة إلا أنه يتخوف من إظهارها، إلى أن يخرج الشعب الأمريكي ويعترف بأنه شخص صالح، يغادر خان السجن ويستأنف رحلته للبحث عن رئيس أمريكا مرة أخرى ورغم ماتعرض له يواصل خان مواقفه الإنسانية اتجاه الشعب الأمريكي بدون تحيزات دينية أو عرقية وفي الأخير يتمكن من مقابلة رئيس أمريكا الجديد ويقول له سيدي الرئيس أنا اسمي خان وأنا لست إرهابيا فيرد عليه الرئيس الجديد نعم أعلم ذلك. وتنتهي الأحداث بعودة خان لحياته الطبيعية مع زوجته.

والملاحظ في البنية السردية للفيلم هو سعي المخرج لتكسير البنية التقليدية(بداية، تصاعد أحداث، تأزم، عقدة، بداية الانفراج، الحل) بل على العكس ظل يقدم وصلات متقطعة ولكنها منسجمة في نفس الوقت وإن كانت الأحداث قد سارت بوتيرة متسارعة في الجزء الأخير من الفيلم والذي أنهاه بعودة خان لزوجته مختزنا رغبته وأمله في عودة الأمور إلى طبيعتها وتقديم تصور بديل للعلاقات بين المسلمين والشعب الأمريكي محاول تبديد التصور النمطي عن الإسلام الذي ساد في عقول ووجدان الأخر.

2. سمات الشخصيات في الفيلم:

- **الشخصيات المسلمة:** إن توظيف المخرج للشخصية المسلمة كشخصية محورية تدور حولها أحداث القصة، والتنوع في الأدوار وظهور المرأة المسلمة وإن كان بشكل ثانوي وجزئي وهو ما جعلنا نختار الشخصية كوحدة للتحليل خاصة وأن الشخصيات تعد أحد أهم الوسائل الاتصالية التي يتركب منها الفيلم السينمائي:

- **رضوان خان:** ما يلفت الانتباه في شخصية رضوان خان هي المفارقات الغريبة التي وضعتها أمامنا كاتبة السيناريور **رضوان** الرجل الهندي المسلم البسيط الذي عاش فترة طفولته وشبابه في قرية صغيرة مغلقة والمصاب بمرض يفقده مهارات التواصل السليم مع الآخر استطاع أن يقف بذهنية متفتحة وبصدق وشجاعة أمام الشعب الأمريكي بأكمله وأمام العالم ليقول رسالته التي أخفق الكثير من المثقفين في إيصالها بالطريقة الصحيحة " أن تكون مسلم لا يعني أبدا أنك إرهابي" كما قدم المخرج من خلال رضوان خان صورة الإنسان المسلم البسيط محاولا الابتعاد عن تقييده بلباس أو لحية كما هو مألوف في السينما الهندية مركزا على جوهر الدين وروح الإسلام التي جسدها البطل من خلال مواقفه الإنسانية التي لم تتغير برغم كل التحولات التي شهدتها القصة حيث ظهر رضوان خان كصبي محب لأمه وأخيه الأصغر وأستاذه، بانتقاله لأمريكا استطاع خان احتواء ماندیرا كحبيبة وزوجة برغم اختلاف الديانة، رعاية ابنها سمير كأب متفاني، ثم توسعت دائرة تعاطفه لتشمل كل الشعب الأمريكي باختلاف عرقه وجنسه فبعد خروجه من السجن إثرى أحداث **11** سبتمبر وما خلفته من عنف ورفض وإقصاء وتشنج في العلاقات الذي طالت حتى حياته الزوجية، وتعرضه للتعذيب، إلا أن هذا لم يحرك لديه الرغبة في الانتقام و لم يشعل لديه مشاعر الضغينة، بل على العكس ساهم رضوان خان في التبرعات التي جمعت من أجل ضحايا التفجير بمبلغ كبير مطلقا عليه **"الزكاة"** كأحد أركان الإسلام الأساسية، بلغ خان الأمن الأمريكي عن مسلم متطرف يدعو للعنف ويحرض عليه، يبادر إلى إنقاذ طفل مسيحي، إنقاذ أسر مسيحية من خطر الفيضان في وقت أهملتهم فيه الحكومة الأمريكية، يشاركهم في كنائسهم الصلاة على أبنائهم الذين فقدوا في حروب أفغانستان والعراق بقوله **"إن لله وإن إليه راجعون"** يصلح السيارات المعطلة في الشوارع، يبني المنازل التي هدمها الفيضان، قبل أن يتحرك مسؤولوا الولايات المتحدة الأمريكية لنجدة المتضررين، يصلي في الشارع علنا أمام الناس غير مهتم على عكس مسلمين آخرين يتخوفون من إظهار هويتهم.
- **شخصية زاكر أخ البطل** : يعتبر الأخ الأصغر لخان علاقته به تتسم بالغيرة بالنظر لاستحواذ خان على حب والدته واهتمامها، لهذا عندما بلغ سن **18** عشر قرر الهجرة إلى الولايات المتحدة لكنه يظل محافظ

على معتقداته الدينية حيث يتزوج من مسلمة ترتدي الحجاب ويعارض زواج خان من ماندیرا نظرا للاختلاف الديني. ولكن مع ذلك فهو دائما مثل دور إيجابي في رفقة أخوه المريض، واحترام خياراته وقراراته.

- **الأم الأرملة**:هي مثال للأم الهندية التي تكافح من أجل أبنائها لباسها وزيها يعكس الهوية الهندية أكثر منها الهوية الإسلامية، تربي أبناءها وتزرع فيه روح التسامح ومع أنها إمرأة غير متعلمة إلا أنها تحمل ذهنية متفتحة تقبل الأخر لهذا تغضب عندما تسمع رضوان يردد كلمات جارحة سمعها إثرى عراك شب بين الهندوس والمسلمين سنة **1982** فتمسك ورقة وترسم عليها شخص يحمل عصى وتسأل ابنها عن هذا التصرف فيخبرها إنه تصرف سيء وترسم شخص أخر يحمل في يده مصاصة وتخبره عن نوع هذا التصرف فيجيب بأنه تصرف جيد ثم تطلب منه أن يخبرها أيهما هندوسي وأيهما مسلم فلا يستطيع الطفل التمييز، فتخبره درسا مهما أن البشر نوعان أشخاص صالحون وآخرون سيئون ولا وجود لنوع ثالث اسمه هندوسي أو مسلم.
- **زوجة زاكر حسينة**:إمرأة أمريكية مسلمة ترتدي الحجاب الإسلامي تستخدم تحية الاسلام إمرأة متعلمة، متحصله على شهادة جامعية في علم النفس، متعاطفة وحنونة ساعدت خان في اكتشاف طبيعة مرضه والتعامل مع الحياة بصورة طبيعية ومرافقته في أكثر من حدث.

وبالرغم من اختلاف المستوى الثقافي في الشخصيات النسوية إلا أن ملامح الشخصية تتشابه حيث ظهرت المرأة المسلمة كإنسانة متفهمة حنونة متعاونة متفتحة حكيمة وذات رؤية.

- **المظهر العام:**

لم يسعى المخرج لتقديم هوية إسلامية بالمعنى الحرفي للكلمة وإنما قدم الإنسان المسلم كفرد هندي يتشابه مع مجتمعه في اللباس الديكور والتعاملات، وليس هناك اختلافات مظهرية سوى بعض الاختلافات الطفيفة كلباس رضوان خان أثناء أدائه للصلاة والحجاب الإسلامي التي كانت ترتديه حسينة زوجة زاكر كما ظهر الإسلام من خلال عبارات مثل السلام عليكم،إن لله وان إليه راجعون، إن شاء الله كما ظهرت بعض معالم الحضارة الإسلامية كالمسجد ولباس الصلاة، اللباس الإسلامي، وأسماء الشخصيات المسلمة.

- **الشخصيات غير مسلمة:**

سنركز في تقديمنا على ماندیرا، شخصيات عائلة ريس الأمريكيين.

- **ماندیرا**:إمرأة هندية هندوسية تعيش في الولايات المتحدة تعمل في محل حلاقة بعد طلاقها من زوجها ومن أجل رعاية ابنها سمير فتواجه تحديات الحياة بقوة وتعجب بمندوب المبيعات وهو رضوان خان

لنزاهته وصدقه فتحبه وتتزوجه بغض النظر عن مرضه. تكون صدقات مع زبائنها وتتأقلم مع اختلافات الموجودة بينها وبين رضوان ولكنها تصدم بموت ابنها وتحمل زوجها المسلم المسؤولية على إثر تفجيرات **11** سبتمبر **2001** من جهة وتسعى لدفاع عن قضية ابنها من جهة أخرى بإصرار ومتابعة لتنال مرادها في النهاية. فقدمت شخصية المرأة المثقفة والمتحضرة.

- **عائلة ريس:** تتشكل من الأم وهي إحدى زبونات ماندیرا والزوج والابن ريس بحيث يصبحون جيران ماندیرا ورضوان وتتقرب العائلتان ويتبادلون الزيارات والتآزر في الأفراح والأقراح خاصة بموت الزوج في العراق واضطراب العلاقة بين ريس وسمير والتي كان سببها النظرة للإسلام والمسلمين يتسبب ريس في مقتل سمير ولكن دائما قدمت صورتهم بإيجابية من خلال التعايش والمآزرة.....إلخ.

3. نماذج عن صورة الإسلام في الفيلم:

- **الإسلام دين تعايش بين الديانات:** ويظهر ذلك من خلال قصة الحب العاصفة التي عاشتها كل من رضوان خان وماندیرا وتعتبر هذه التيمة من المواضيع الرائجة في السينما الهندية باعتبارها سينما تتوجه أكثر نحو الرومانسية وتحاك إحداثها دائما من خلال قصص الحب بين بطل أو بطلة مسلمة وأخر من ديانة أخرى.
- **الإسلام دين تكافل ومسؤولية:** والذي تظهر فيه الأم الأرملة التي تتكفل بابنها بالرغم من جهلها لطبيعة مرضه وتسعى لتعليمه وتطوير قدراته، يجد الإعانة من أخيه في أمريكا الذي يأخذه إلى منزله ويتكفل به بالرغم من العلاقات بينهما تعرف بعض التشنج نتيجة اهتمام أمهما برضوان على حساب أخيه الأصغر مما أشعل بداخله مشاعر الغيرة التي سرعان ما انطفأت بموت أمهما وغلبت عليها مشاعر الأخوة، تظهر أيضا من خلال دعم حسينية المرأة المسلمة لأخ زوجها بتشخيص مرضه ومساعدته على التعايش مع البيئة الأمريكية وكيفية التنقل بالاعتماد على الكاميرا خاصة أن خان كان يخاف من الضجيج والازدحام ولا يستطيع التعامل بسهولة مع الغرباء، دعم خان لمنديرا وابنها وإظهار روح المواطنة والإنسانية في تعامله مع الشعب الأمريكي والتي تجسدت في مواقفه الإنسانية.
- **الإسلام دين تسامح وتعايش وسلام وحوار وليس دين إرهاب:** وهذا ما تجسد من خلال كل الشخصيات المسلمة في الفيلم وحتى بعد أحداث **11** سبتمبر قدم البطل تبرعات لضحايا التفجير وندد بظلم العمل الإرهابي هو وكل الشخصيات الظاهرة في الفيلم، ورغم المضايقات التي تعرض لها يقرر خان أن لا يواجه العنف بالعنف وإنما بالحوار ومحاولة إيصال صوته لكل العقول المتعصبة والقلوب التي تشتعل بالغضب والكراهية بقوله وبكل بساطة **أنا اسمي خان ولست إرهابيا.**

- **الإسلام دين عمل:** ظهر الإسلام أيضا كدين يقدس العمل، والذي ظهر في تكفل الأرملة بولديها وسعيها لتعليم رضوان رغم إعاقته، نجاح رضوان خان في إعالة نفسه في الهند من خلال تصليح الأدوات المنزلية، وبانتقاله لأمريكا أصبح مندوب مبيعات لمستحضرات التجميل وتحليه بالصدق والشفافية في ذكر مزايا منتجاته وعيوبها، نجاح زاكر أيضا في الولايات المتحدة الأمريكية كمدير للمبيعات.
- **الإسلام دين تطرف وضحية للتطرف:** رغم أن المخرج لم يسعى لتسويق هذه الصورة على نطاق واسع إلا أنه أشار إليها في بعض المشاهد محاولا إحداث توازن بين الاتجاهات المختلفة حول صورة الإسلام والمسلمين، حيث ظهرت بعض المشاهد التي ركزت على تحريض بعض المسلمين على العنف كردة على الظلم الذي لحق بهم أثناء أحداث **11** سبتمبر. فالمسلمين أيضا عانوامنأثر التفجيرات أيضا.

IV. خلفيات صورة الإسلام في السينما الهندية:

تعد السينما الهندية أحد أهم الأدوات الإيديولوجية التي ساهمت في خلق صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين وإن كانت قد طعمت بعض تجاربها السينمائية بصورة تقترب من واقع الإنسان المسلم بعيد عن المبالغة والتحيز، حيث توصل الباحثان الباكستانيان من خلال تحليهما لـــ **50** فيلم هندي قبل وبعد أحداث **11** سبتمبر إلا أن السينما الهندية قدمت صورة سلبية عن الإسلام بنسبة **65.2** بالمائة، وصورة حيادية بنسبة 30.4 بالمائة وصورة ايجابية بنسبة **4.4** بالمائة(**Khan, Muhammad Ashraf, and SyedaZuria Bokhari, 2011**).

ويمكن تفسير تعدد النماذج والتصورات حول شخصية الإنسان المسلم وتراوحها بين الإيجاب والسلب للاعتبارات التالية:

أولا : الصورة السلبية:

العلاقات المتوترة بين دولة الهند والباكستان، سجل حافل بالمواجهات السياسية والعسكرية الدائرة حول إقليم كاشمير وظهور حركات انفصالية إسلامية مسلحة تدعو لانفصال إقليم كشمير عن الهند بعد تزوير انتخابات **1987**(جمال الدين بوزيان، **2008**)، وبالتالي التصاق صفة العنف بالإسلام وانتقال الصراعات والمواجهات السياسية إلى دائرة السينما التي شنت بدورها حربا سيميائية ضروس بين السينما الهندية والباكستانية، إلا أن تطور السينما الهندية جعل صوتها أكثر صدى على المستوى المحلي والعالمي. ويوضح لنا الباحثين الباكستان كيفية استجابة السينما الهندية للأجندة السياسية من خلال تتبع تطور صورة الإسلام، مؤكدين على سعي السينما منذ الاستقلال لترسيخ صورة ايجابية عن المسلم من خلال سلسلة من الأفلام التاريخية التي تناولت فترة حكم الماغول المسلمين للهند وما اتصف به حكامها من حكمة ورجاحة عقل،

وظهرت هذه الموجة من الأفلام بعد استقلال الهند مباشرة حيث كانت العلاقات بين الهند والباكستان يحكمها بعض الهدوء والسعي للتفاوض، كما اشتهرت تلك الفترة بتواجد مخرجين وكتاب سيناريو ومصورين وممثلين مسلمين مما أثث المشهد السينمائي برؤى ايجابية عن المسلم ومن بين هذه الأفلام:**mumtazmahal**,**shahjahan**, **mughal-e-Azam**

في فترة السبعينات بدأت النظرة للمسلمين تتغير وبدأت الشاشة تقدم المسلم كإقطاعي وصاحب ثروة كسول وخامل ويبذر ثرواته عل نزواته الشخصية، ومن هذه الأفلام التي اشتهرت في مرحلة السبعينات: فيلم **Pakeezah**, **UmraoJaan**,**MereHazoor**. وفي فترة الثمانينات والتسعينات قدمت السينما البوليوودية الإنسان المسلم كقاطع طريق ومجرم ومخرب في حدة أفلام منها: **Angaar**خاصة بعد تزوير الانتخابات سنة **1987** وظهور حركة إسلامية جهادية تدعو للانفصال، بعد أحداث **11** سبتمبر ظهر المسلمين بصورة الإرهابي، المتطرف، العنيف :**Ali**, **Shahzad**, **Sidra Chaudhry**, **and A**. **B**. **Faridi**) **2012** **p139**).

اتسام السينما الهندية خاصة البوليوودية بطابعها التجاري وسعيها لرفع إراداتها في شباك التذاكر يجعلها تقع في فخ التنميط الثقافي وإتباع النماذج السينمائية الأكثر نجاحا خاصة وأن المغامرة بتقديم نماذج مخالفة لما تعود عليه الجمهور قد بكبدها خسائر فادحة. وبالتالي فإن السينما الهندية لم تعكس الواقع بقدر ما قدمت صياغة جديدة للمجتمعات تحت تأثير نسيج قيمي متكامل وذو أهداف محددة من خلالتغليب قيم ومفاهيم على أخرى، والاستجابة لأجندة سياسية معولمة.

ثانيا: الصورة الايجابية: أما خلفية الصورة الايجابية عن الإسلام فتعود أيضا للاعتبارات التالية:

تعددت التيارات وانقسام الرؤى داخل السينما الهندية، فبالرغم من سيطرة الإنتاج بوليوود على المشهد السينمائي إلا أن هناك مدارس سينمائية أخر حاولت الاقتراب من اليومي المعاش للفرد الهندي على اختلاف دياناته وبما أن المسلمين يشكلوا 15% من سكان الهند وفي هذا الصدد يؤكد الباحثان الباكستانيان أنمن تيار السينما **malayalm** وتسمى أحيانا بسينما بوليوود تقدم قصص اجتماعية وعائلية وتتميز بنزعتها الواقعية ويهتم بهذه السينما خاصة سكان الجنوب وهي سينما تعكس رؤية الشعب الملايامي المعروف بتسامحه وانفتاحه على كل الطوائف لهذا تسعى هذه السينما لتقديم صورة ايجابية عن الإسلام والمسلمين. بالإضافة إلى تيارات أخرى مثل: **tamoul, le banghali, le telougo**, والتي تحاول الاقتراب من اليومي المعاش للإنسان الهندي ونقل ثقافات الفرعية للمجتمعات الهندية، بل إن السينما البوليوودية وبالرغم مما يعرف عنها كما يصفها البعض بأنها تنزع للاستعراض، مواضيعها كوميدية أو رومانسية، تعمد إلى الأدرمة والإثارة والخروج

عن المألوف إلا أنها في أحيان كثيرة تقترب من عمق المجتمع الهندي وتعكس ما فيه من رؤى وتناقضات وتنقل هواجسه ومخاوفه وتعكس تناقضاته واختلافاته(Khan, Muhammad Ashraf, and SyedaZuria Bokhari, 2011).

V. استنتاجات عامة:

ليس من قبيل المصادفة أن جميع الأفلام الثلاثة (نيويورك، قربان، اسمي خان)خلفيتها أمريكا أو نيويورك فقد كانت هجمات 11 سبتمبر وهي في ذاتها مأساة لها أبعاد سينمائية، مصدر إلهام بالنسبة للأفلام في مختلف أنحاء العالم. وأحظرت قضية النظرة العنصرية إلى ضمير العالم. مع ملاحظة أن صناع الأفلام في الهند تأخروا سبع سنوات في استخدام هذه الفرصة على الرغم من أن الكثير من تاريخنا المعاصر يشكله العنف الطائفي والتمييز العنصري.وتسير الأفلام الهندية نحو حيادية طرح صورة الإسلام والمسلمين فتغيرت المواضيع من معالجة الأوضاع بين الهند والباكستان إلى تأثير تفجيرات 11 سبتمبر على المسلمين وغيرهم وعلاقات فيما بينهم خاصة ما تعلق بالتعايش بين المغتربين المسلمين في الدول الغربية والأمريكيين في الجامعات وغيرها. وكأن الوضع على طاولة النقاش لإيجاد الرؤى الصحيحة ومعالجةالانحرافاتالتي تسببت فيها جماعات متطرفة.

قائمة الهوامش:

1. جريد الشرق الأوسط، (15 ديسمبر 2009)، **الإرهاب والإسلام .. في طليعة اهتمامات بوليوود الراهنة**، العدد 11340.
2. جمال الدين بوزيان، (2008) **صورة الإسلام في بوليوود.. كثير من العداء، قليل من العدل**، الحوار المتمدن، العدد 2368، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=143460
3. هربرت أ. شيللر، (1999)،**المتلاعبون بالعقول**، ترجمة عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، الكويت، ص90.
4. Ali, Shahzad, Sidra Chaudhry, and A. B. Faridi. (2012),"**Portrayal of Muslims Characters in the Indian Movies**." Pakistan Journal of History and Culture 33.1,P139.
5. Khan, Muhammad Ashraf, and SyedaZuria Bokhari. (2011) ,"**Portrayal of Muslims in IndianCinema**: **A Content Analysis of Moviesduring (2002–8)**." Pakistan Journal of IslamicResearch 8: 1-15.